

الشك واليأس من حروب الشياطين

الشك:

يعمل الشيطان على زرع الشكوك في كل مجالات الحياة. لأن الإنسان في حالة الشك يكون ضعيفاً، فيتمكن الشيطان من الانتصار عليه..

**** وما أسهل عليه أن يغرس الشك في كل العلاقات الاجتماعية: كالشك في إخلاص الزوج أو الزوجة، أو في علاقة الصديق بصديقه، أو الشريك بشريكه في العمل. الشك في صدق الناس وفي أمانتهم وفي حسن نواياهم. وفي نياتهم ومقاصدهم. كل ذلك لكي يزعزع صلة الناس ببعضهم البعض، ويحولها إلى انقسامات ونزاع، ويضيع الحب الذي هو عماد الحياة الروحية والاجتماعية كلها..**

حتى الأمور التي يمكن أن تمر ببساطة، يعقدها الشيطان بشكوك عديدة، وقد يخلق منها مشاكل عويصة..

**** إنه يشكك التلاميذ في موسم الامتحانات... الشك في صعوبة الأسئلة، وفي القدرة على النجاح. وإن أمكن النجاح يثير الشك في إمكانية التفوق والالتحاق بكلية مرموقة. وإن نجح الطالب وتخرج، يقدم له الشك في إمكانية الحصول على وظيفة.**

**** كذلك الشك في الأخبار سواء التي تنشر في الصحف، أو التي ترد في كل وسائل الإعلام: هل هي فعلاً حقيقية أم أن وراءها غرضاً معيناً يقصده الكاتب أو المذيع. ويزداد الشك كلما تضاربت الأخبار أو تنوعت أساليب عرضها..**

**** وقد يتطور الأمر فيشك الإنسان في ذاته، وفي مدى قدرته. وربما يشك في حالته الصحية، وهل هو مريض بالمرض الفلاني، أم أن الأطباء والأقرباء يخفون الأمر عنه أو يهونون عليه وقع الخبر..! وربما فتاة يأتى شاب ليخطبها فتشك في قبوله لها. وهل سيمضى ثم لا يعود.؟!!**

**** بل أن الشك قد يصل إلى الإيمان أيضاً والعقيدة. مثلما حدث في نشر الشيوعية، وبعض الكتابات الإلحادية، أو في قيام بعض البدع والملل والنحل. ويتساءل العقل في حيرة وفي شك: اين الحقيقة؟**

**** وقد يكون الشك في امكانية الحياة مع الله، وهل هي سهلة أم صعبة؟ والى أي مدى يمكن السلوك بالمبادئ السامية في مجتمعات أنتشر فيها الفساد، وأصبحت الفضيلة فيها محاطة بعقبات وأشواك!**

**** والشك عمومًا يحتاج إلى علاج، والى بحث وروية واقتناع. وفي العلاقات الاجتماعية ربما يلزمه أحيانًا شيء من المواجهة أو من الصراحة، أو العقاب. وهنا ينبع شك آخر: هل المواجهة أو العتاب تأتي بنتيجة سليمة أم تؤول لها حالة أكثر سوءًا؟! وهل الذي ستواجهه أو تعاتب سيقبل ذلك. أم يغضب ويثور ويهدد؟!**

اليأس

أخطر ما في الشك أنه قد يزداد حتى يتحول إلى يأس. على أن اليأس إذا زاد، وإذا سيطر على مشاعر إنسان، فقد يجعله ينحرف أحيانًا ويلجأ إلى حلول غير سليمة...

**** فإنسان قد يقع في مشكلة ويحاول أن يصل إلى حلها فلا يعرف. وأخيرًا إن طال الوقت ولم يجد للمشكلة حلًا، قد يلجأ إلى وسائل لا يرضى عنها الضمير مثل الكذب أو الغش أو التحايل مركزًا على الرغبة في الوصول أيًا كانت الوسيلة خاطئة! وإن وبخه ضميره، يرد قائلًا: ماذا أفعل! ليس أمامي طريق آخر، لقد نيست...**

هذا الإنسان ينقصه الصبر أو الحكمة، أو على الأقل المشورة...

**** أو إنسان آخر تواجهه مشكلة، فيصلى إلى الله كثيرًا أن ينقذه منها. وإذا يمرّ الوقت وتبقى المشكلة قائمة، ربما يدركه اليأس من حلها. ثم يوسوس له الشيطان أنه لا فائدة من الصلاة ولا منفعة، وأن الله لا يسمع أو لا يرحم... ويبدأ إيمانه أن يهتز ولا يعود يصلى من أجل هذه المشكلة ولا من أجل أي سبب آخر...**

**** شخص آخر تقابله في متاعب في حياته الزوجية، أو خلافات بينه وبين زوجته، ويحاول أن يقنعها بفكره فلا تقتنع، فتبدأ محبته لها أن تفتر، ويعمل على استعادة الحب القديم فلا يستطيع... وأخيرًا ييأس من استمرار حياته معها، ويبدأ في التفكير في تطليقها. ويتم الطلاق نتيجة لليأس، ويكون مأساة للأسرة وللأولاد...**

**** شخص آخر يزداد الخلاف بينه وبين بعض أصدقائه، ويصطدم بحقيقة تزعجه وهي خيانة من البعض، وعدم أمانة من البعض الآخر، فيشك في الصداقة والأصدقاء، وتنحرف نفسيته،**

فبيأس من كل هذه العلاقات، وينعزل بعيداً عن أي صديق خوفاً من أن تتكرر المأساة. ولا يعود يأتّمن أحداً أو يتحدث بأسراره لأحد!!

** أو إنسان كان طيب القلب متسامحاً مع الكل، فوجد أنهم يستغلون طيبته ويمتهنون كرامته. ويجد أن الوداعة والتواضع يعتبرهما البعض دليلاً على الضعف. ويتكرر هذا الأمر، فيدركه اليأس من حياة السمو والفضيلة والهدوء، وينقلب إلى صورة عكسية تماماً في معاملته مع الآخرين.. فلا يعود يغفر أية اساءة لأحد، بل يقابل السيئة بما هو اسوأ منها...

** وإنسان آخر تكثر عليه المشاكل والضيقات ويحتمل على قدر طاقته، ثم يضيق صدره أخيراً بكثرة الاحتمال. وإذ تزداد آلامه يوماً بعد يوم، ولا يجد معونة من أحد، ولا حلاً لكل ما يكابده، حينئذ يدركه اليأس ويعصره، ويفكر في التخلص من هذه الحياة كلها بالانتحار، نتيجة ليأسه...

** أو شخص آخر يقع في الخطيئة ثم يتوب أو يحاول التوبة، ولكنه يعود للخطيئة مرة أخرى وثانية وثالثة، فيدركه اليأس من حياة التوبة وينغمس في الخطيئة.

على أنى أرى هذه النقطة بالذات من الوقوع في اليأس، تحتاج منا إلى شرح وتفصيل أكثر، بل إلى مقال خاص. فإلى اللقاء في المقال المقبل إن أحببت نعمة الرب وعشنا.